AL-SABAH
الصباح الإسلامية

No. 4582 | الجمعة | 6 ذي القعدة 1444 هـ | 26 مايو 2023 م | السنة السادسة عشرة

Alsabah Media www.alsabahpress.com

الحثّ على السعي والعمل والكسب

الإسلام اهتم بالحدّ من الفقر.. وحثّ على محاربته

يطلق الفقر على الحالة التي تكون فيها الموارد لا تكفي حاجة صاحبها، ويطلق أيضاً على الحاجة والعوز والضعف، والفقير هو الشخص الذي لا يملك أقلّ قوت يومه، كما ويطلق عليه درويش، ومن حكمة الله -تعالى- أنْ جعل النّاس متفاوتين في الأرزاق والنعم، كما أنّ التفاوت من مبادئ الحياة، ودليل ذلك قول الله تعالى: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)، فالحكمة من ذلك تتمثّل بالحدّ من تنازع طبقات المعيشة بين الناس، وتحقيق الرضى بقضاء الله -تعالى- وقدره على عباده، كما أنّ الفقر يُعدّ نوعاً من أنواع الابتلاءات التي تصيب العباد، وكذلك لغيرهم من الأغنياء، ولذلك نصّت الرسالات السماوية على العديد من المبادئ والقيم التي تحذّر من طغيان وسلطة الأغنياء على الفقراء، والحثّ على التعاون والتعايش بين الطبقتين على حد سواء، فالحكمة من التفاوت أنّ فيه إصلاحٌ للمجتمعات، وتنظيمٌ للحياة، وإعمارٌ للكون، ودليل ذلك قول الله عزّ وجلّ: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، فإنْ كانت جميع فئات المجتمع ذات سعة وغنى؛ لانتشر البغي والظلم في الأرض، إلّا أنّ الإسلام حارب الفقر، وحدّ منه بالعديد من الوسائل والطرق.

معالجة الإسلام لمشكلة الفقر

أولى الإسلام اهتماماً خاصاً بالحدّ من الفقر، وحثّ على محاربته وذلك بالعديد من الوسائل والأساليب والطرق، وفيما يأتي بيان بعضها:

- الحثّ على السعي والعمل والكسب، فالقادر يجب عليه أنْ يجتهد في تحصيل رزقه، مع العلم بأنّ الرزق مكتوبٌ من الله تعالى، إلّا أنّه يجب على العبد السعي والعمل للوصول إليه، وليس لأيّ أحد أنْ يحتجّ بعدم القيام بأيّ عمل بأنّ الله -تعالى- كتب عليه الفقر، أو عدم العمل، ويجب أيضاً على المسلم أن يتواضع، ولا يتكبّر على أيّ نوع من أنواع العمل، فالعمل والسعي المشروع شرف، كما أنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان يُرغّب الصحابة بالمهن ويحثّهم عليها، ومن الجدير بالذكر أنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- مارس رعاية الغنم قبل البعثة، ثمّ عمل بالتجارة، وكذلك جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، فالعمل عبادةٌ يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى.
- وجوب نفقة الأغنياء على أقاربهم الفقراء؛ إنْ كان سبب الفقر عدم القدرة على العمل، أو الشيخوخة، أو وفاة ربّ الأسرة أو المنفق، ودليل ذلك قول الله تعالى في كتابه الكريم: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)، كما ويعدّ ذلك أيضاً من صلة الأرحام، ممّا يجعله سبباً في سعة الرزق.
- الزكاة؛ حيث إنّ الفقير له حصة من أموال الزكاة، وممّا دلّ على ذلك قول الله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ)، وذلك من الحقوق التي أوجبها الله تعالى للفقراء.
- الصدقة ابتغاء مرضاة الله تعالى، فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- خصّ بالذكر الصدقة على الأقارب والجيران، وبيّن أنّ الصدقة على الأقارب مضاعفةٌ، ومن صور تقديم الصدقة للجيران الفقراء؛ تقديم الخبز لهم، أو الطعام، وتقديم الملابس لهم في الأعياد.
- الوقف الخيري؛ أيّ جعل عينٍ من الأعيان من غير مالك لها، على أنْ تكون منفعتها صدقةً في الأمور المباحة، إلّا أنّ الوقف يجب أنْ يكون في الأعيان الثابتة، مثل: العقارات، والأراضي، وكذلك في الأصول المنقولة التي تبقى منفعتها، ولا تتغيّر بعد استخدامها، فإن كانت المنفعة تزول؛ فتعتبر صدقةً وليس وقفاً، وبالوقف تتحقّق العديد من الفوائد للمجتمع، منها: استمرار المسلمين في الانتفاع منه، والاستمرار كذلك في الحصول على الأجر والثواب من الله -تعالى- ببقاء عين الوقف وأصله.
- تحريم الربا، والقمار، والغش في البيوع؛ حيث إنّها تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، أو إلى فقدها بشكلٍ كاملٍ.

آثار الفقر على المجتمع

يؤثّر الفقر على المجتمعات بشكل كبير وواضح على مختلف المستويات، وبمختلف أنواع التأثيرات، وفيما يأتي بيان بعضها:

- يؤثر الفقر بشكل كبير على التعليم، فالفقير لا يلقي للتعليم بالاً، فأولوياته محصورةٌ في سدّ احتياجاته من الأكل، والشرب، واللباس، والعلاج؛ ممّا يجعل التعليم بالنسبة له من الأمور الثانوية؛ وذلك بسبب عدم قدرته على تحصيله، وبالتالي يرى الفقير أنْ الأفضل له ولأولاده عدم الالتحاق بالمدارس، وإنّما الالتحاق بما يحقّق لهم مصدراً للدخل، ممّا يؤدي بدوره إلى اقتصار التعليم على الأغنياء، وزيادة معدلات البطالة؛ فالفقراء لا يرفدون الأسواق بما تحتاجه من متطلبات، كما أنّ ذلك يؤدي إلى ارتفاع نسبة الجرائم، وتفشّي الرذائل والفواحش.
- يؤثر الفقر على إبداع أفراد المجتمع، ممّا يؤدي إلى عدم الابتكار، فيتعطّل المجتمع عن التقدّم والتطوّر؛ وذلك بسبب قلّة إمكانات الفقير، وعدم قدرته على مواكبة التطورات الحديثة، فالمواكبة تحتاج إلى قدرات ماديةٍ كبيرة، وينتج عن الفقر أيضاً انتشار الأميّة في المجتمعات، وانتشار الأمراض أيضاً، فالمرض يُلازم المجتمع الفقير.
- يعيق الفقر تنمية الإنسان، بل إنّه العائق الأكبر أمام التنمية، فالفقير يعجز عن استغلال الكثير من الأمور الممنوحة بالنسبة له بسبب فقره، ممّا يؤدي إلى عدم تطوّره، كما يحرمه أيضاً من الرفاهية، ممّا يؤدي إلى انعزاله عن المجتمع بشكل كبير.
- يؤدي الفقر إلى انتشار الأمراض بين أفراد المجتمع وتفشّيها، ويرجع السبب في ذلك إلى التغذية السيئة، مع عدم القدرة على توفير الدواء المطلوب لعلاج الأمراض، وذلك واضحٌ بشكل كبير في الدول النامية، ممّا يؤدي إلى زيادة أعداد الوفيات، وذلك عائدٌ إلى النقص في الخدمات، والرعاية الصحية، وكذلك الخدمات الأساسية من المياه الصالحة للشرب، وتوفير السكن المناسب.

كيف تبني قصراً في الجنة؟

زيّن الله -تعالى- جنّته لعباده، وجعلها مستقرّاً لهم بعد النجاح في امتحانات الدنيا والصبر على بلائها، وإنّ أكثر النصوص مختصرةً ووافيةً في وصف جمال الجنة، والهناء فيها، ومما دلّ على ذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (ولقابُ قوسِ أحدكم من الجنّة، أو موضعُ قيدَ يعني سوطَه خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولو أنّ امرأة من أهل الجنّة اطّلعت إلى أهل الأرضَ لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفُها على رأسها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها)، فإذا كان موضع قوس في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، فإنّ للمرء أنّ يوسع في تخيّله عن سهولها، وأنهارها، وأشجارها، وسائر ألوان نعيمها بقدر ما يشاء، وإنّ من نعيمها جمالٌ، ونضارةٌ تغشى أهلها حين يجلسون على منابر النور والياقوت، ويشربون الخمر والعسل، وتحفّهم غلمانهم من كل جانب؛ طلباً لراحتهم وخدمتهم، وأنّهم وهم كذلك موقنون أنّ ما هم فيه من النعيم خالداً أبداً لا ينتهي، ولا يُمنع عنهم، ولا ينقطع ولا يُحرمون منه، فذلك من تمام النعم عليهم، ومن أسباب سعادتهم التي لا تنتهي.

إنّ المسلم إذا استيقن عظم الجنة وجمالها، ودوام النعم فيها، فإنّه يبادر إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، التي تكون سبباً في دخوله الجنان، وبلوغ رضا الله -تعالى- عليه، وأحد أهم هذه الأعمال الصالحة ذكر الله -تعالى- على الدوام، وإنّ الذكر رغم سهولته ويسره، إلّا أنّ الله -تعالى- رتّب لفعله أجرٌ عظيمٌ، ولقد رغّب النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أصحابه بالإكثار من الذكر في كل حال، ودليل ذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (ألا أنبّئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من إنفاق الذهب، والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى، قال: ذكرُ الله)، وكما دلّ على ذلك أيضاً قول الله -تعالى- في القرآن الكريم: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).

لقد ذكر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الأجر الذي يلقاه الذاكر في جنته يوم الخلود، وفيما يأتي ذكرٌ لجانب من أجور الذكر الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة، ذكر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بعض الأعمال الصالحة وأجورها، مبشّراً ومرغّباً المسلمين بالإكثار منها؛ ليفرحوا بها حين يرون فضلها يوم القيامة، ومن الأجور التي وردت في الأحاديث النبوية؛ تشييد القصور في الجنة، ولقد ذكر النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- طريقين لبناء قصر في الجنة، وهما في قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (من قرأ قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ حتى يختمَها عشرَ مرات، بنى اللهُ له قصراً في الجنّة، ومن قرأها عشرين مرة، بنيَ له قصران، ومن قرأها ثلاثين مرّة، بُنيَ له ثلاثٌ)، وممّا دلّ على ذلك أيضاً قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (مَن صلّى الضُّحَى ثنتَيْ عشرَةَ ركعة، بَنَى اللهُ له قصراً في الجنة من ذَهَب)، ولا شك أنّ القصور في الجنّة، ليست كالقصور التي اعتاد المرء رؤيتها في الدنيا؛ ففي الجنة تكون الغرف شفافة، مرتفعة، يُرى باطنها من ظاهرها، والبناء فيها لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وطلاؤها من المسك، وفيها الفُرش وثيرةٌ، وناعمةٌ كالحرير، ويتمتع ساكنوها بالأمن والطمأنينة، والسرور على الدوام بإذن ربّهم.

تتفاضل الأعمال الصالحة في ثقلها في ميزان الله تعالى، فهناك أعمال خيرٌ عند الله من سواها، وقد يكون إتيانها سبباً مباشراً في ثقل ميزان الحسنات يوم الحساب، وإدراك الجنة بإذن الله تعالى، وإذا أدرك الإنسان هذا التفاضل، فيجب عليه أنْ يسعى لتحصيل خير الأعمال وأرفعها؛ حتى ينال الفضل بأقل جهد ووقت، ويستزيد منه؛ فيدرك الدرجات العُلا من الجنة، وإنّ أولى هذه الأعمال، وأفضلها، وأثقلها حين تنزل في ميزان الله تعالى؛ هي الشهادتين، ودليل ذلك ما ورد عن كليم الله موسى -عليه السلام- حينما قال: (قال موسى: يا ربّ علّمْني شيئاً أذكرُك به وأدعوك به قال: قُلْ يا موسى: لا إلهَ إلّا اللهُ قال: يا ربّ، كلّ عبادك يقول هذا، قال: قُلْ: لا إلهَ إلّا اللهُ، قال: إنّما أُريدُ شيئاً تخصُّني به، قال: يا موسى لو أنّ أهلَ السّموات السّبعِ، والأرَضينَ السّبعِ، في كفّة، ولا إلهَ إلّا اللهُ في كفّة، مَالَتْ بهم لا إلهَ إلّا اللهُ)، وذلك يدلّ على أنّ قول لا إله إلا الله أثقل عند الله -تعالى- من السماوات والأرض ومن فيهنّ.

إنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أوصى بالإكثار من التسبيح بالحمد والشكر له، ودليل ذلك ما ورد عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحانَ الله وبحمده، سبحانَ الله العظيم)، ودليل ذلك أيضاً قول النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لجويرية -رضي الله عنها- عندما مكثت تذكر الله -تعالى- من صلاة الصبح حتى وقت الضحى، فقال لها: (لقد قلتُ بعدك أربعَ كلمات، ثلاثَ مرات، لو وُزنتْ بمَا قلت منذُ اليومَ لوزَنَتهنّ: سبحان الله وبحمده، عددَ خلقه ورضَا نفسهَ وزنَة عرشه ومدادَ كلماتَه)، وورد الذكر في موضع آخر أيضاً في حديث النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عندما قال: (خلّتان لا يُحصيهما رجلٌ مسلمٌ إلّا دخلَ الجَنةَ، ألا وهما يسيرٌ، ومن يعملُ بهمَا قليلٌ، يُسبّحُ اللهَ في دبر كلِ صلاة عشراً، ويحمدهُ عشراً، ويكبرُهُ عشراً، قال: فأنا رأيتُ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يَعقدُها بيده، قال: فتلكَ خمسونَ ومئةٌ باللسان، والألفُ وخمسُ مئة في الميزان، وإذا أخذتَ مضجَعكَ تسبحَهُ، وتكبرهُ، وتحمدهُ مئةٌ، فتلكَ مئةٌ باللسانِ، وألفٌ في الميزانِ).

إشارة قرآنية إلى وسائل جديدة للنقل وصناعة الثياب

فيما يلي نتعرف على معجزة من معجزات القرآن العظيم في الحديث عن وسائل التنقل التي اخترعها الإنسان حديثاً وصناعة البلاستيك والأقمشة الصناعية.. يقول تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 8]. وهنا أود أن أقف عند قوله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).. فهل هناك مخلوقات جديدة سيخلقها الله تشبه الحمير والخيل والبغال؟

الحقيقة أن الإنسان هو آخر المخلوقات ظهوراً على وجه الأرض، ولكن الله تعالى يهيئ وسائل نقل وركوب جديدة من خلال تسخير الاختراعات والمكتشفات العلمية وييسّر طرق صناعتها، فالمادة الأولية خلقها الله، وصانع الآلة خلقه الله، ولذلك فإن هذه الوسائل الجديدة للنقل هي من صنع الإنسان ظاهرياً، ولكنها في حقيقة الأمر هي مخلوق من مخلوقات الله، وهذا معنى قوله عز وجل: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) والله أعلم.

والآية التي تؤكد هذه الحقيقة هي قوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ × وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) [يس: 41-42]. لنتأمل قوله تعالى: (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) ما معنى (مِنْ مِثْلِهِ) أي مثل الفلك وهي السّفن تجري في البحر، فهذه السفن هي آلات من صنع الإنسان ولكنها مخلوقة لأن الله هو الذي خلق الخشب والحديد وسخر الوسائل لصناعتها، فهي جزء من خلق الله تعالى. وبما أن الله قال: (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) فهذا يدل على أن الله سيخلق وسائل جديدة يصنعها الإنسان للركوب والنقل، وهذه معجزة قرآنية لأنه لا يمكن لأحد في ذلك الزمن أن يتنبأ بمثل هذا الأمر. لقد وصل الإنسان إلى الفضاء واخترع العديد من وسائل النقل وجميعها سخرها الله له عسى أن يزداد إيماناً بهذا الخالق العظيم، ومن معجزات القرآن أن الله حدثنا عن وسائل جديدة بقوله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

هناك العديد من الإشارات العلمية الخفية جاء العصر الحديث ليثبت صدقها، فمثلاً يقول تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) [النحل: 80]. وهنا نتساءل: لماذا قال تعالى: (إلى حين)؟ أي أن الإنسان سيستخدم الصوف والشعر والوبر في صناعة الثياب والأمتعة، ولكن هذا لن يستمر إلى الأبد، بل (إلى حين) أي إلى عصر محدد، ولكن ماذا بعد ذلك؟

بالطبع سوف يأتي عصر يستخدم فيه الإنسان وسائل أخرى لصناعة الأمتعة والثياب والأدوات مثل البلاستيك والجلد الصناعي والأقمشة الصناعية والنايلون الصناعي وغير ذلك مما نعرفه اليوم والذي تتم صناعته من مشتقات النفط وغيره، فقد تمكن الإنسان اليوم من صناعة كل شيء تقريباً من البلاستيك سواء أثاث المنزل أو الأدوات المختلفة وحتى أجزاء الطائرة... كلها تُصنع من البلاستيك ولم يعد هناك دور يذكر للأوبار والأصواف! وهذه معجزة قرآنية أيضاً حيث أخبر القرآن بأن الله سخر لنا الأنعام لنستفيد من جلودها وأصوافها إلى زمن محدد، فسبحان الله! هذا خلق الله.